طريق الحرية

إخلاص العبودية

إعداد

ناصر الدين بن عبد الرحمن النعيمي

مكتبة أنوار التوحيد

طريق الحرية

إخلاص العبودية

الطبعة الأولى

ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ

مكتبة أنوار التوحيد

طريق الحرية

إخلاص العبودية

إعداد

ناصر الدين بن عبد الرحمن النعيمي

مكتبة أنوار التوحيد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

إليك أيها القارئ أكتب هذه الكلمات وأخطُّ هذه الأسطر لعلّك تجد فيها ما تنتفع به في زمن طغت فيه المادة على القيم والأخلاق، وظهر فيه الفساد في التصور والاعتقاد والسلوك والمعاملات، وتبدَّل الدين وتغيَّر، وغفل الناس عما خُلقوا له، ونقضوا العهد والميثاق(١)، واتخذوا من دون الله أربابًا وأندادًا، يحبونهم كحب الله ويطيعونهم من دون الله، وصار أكثرهم عبيد الدرهم والدينار والهوى والشهوات.

فانتبه جيدًا لما تقرأ فأنت المعْنيُّ بذلك، وخاطب نفسك بهذه الكلمات، ولا تظن أن الخطاب لغيرك، فإنك لن تستفيد مما تقرأ حتى ترجع به على نفسك وتنتفع به قبل غيرك، فخير العلم ما نفع، وخير الهدى ما اتُّبع، وإنما يَنتفِع بالعلم من عَلِمه ثم عمل به، ولا ينتفع به من علِمه ثم تركه، والعلم يهتف(٢) بالعمل فإن أجابه أقام وإلّا ارتحل، ولم يؤتِ الله أحدًا علمًا في الدنيا إلّا سأله عنه يوم القيامة، قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لست أخاف أن يقال لي: يا عويمر، ماذا علمتَ؟ ولكن أخاف أن يقال لي: يا عويمر، ماذا عمِلتَ فيما علِمتَ؟.

---

(١) العهد والميثاق هو الذي أخذه الله على عباده حين أخرجهم من صُلب آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأشهدهم على أنفسهم: ألستُ بربكم؟ فقالوا: بلى شهدنا. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ ﴾ [المائدة:٧].

(٢) يهتف: ينادي ويطالب.

وإني أدعوك في هذه الورقات لأمر هام لا يستقيم أمر الدنيا والآخرة إلّا بتعلمه والعمل به، ألا وهو معرفة الطريق لتحقيق عبودية الله عَزَّوَجَلَّ التي خلقنا من أجلها وسوف يحاسبنا عليها ويسألنا عنها. قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر: ٩٢: ٩٣]، أسأل الله أن يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

أول الواجبات وأعظمها معرفة الله ومعرفة الطريق الموصل إليه

اعلم - رحمك الله - أن الواجب عليك أولًا قبل كل شيء أن تعرف خالقك ورازقك ومدبر أمرك ومالكك وسيدك وربك الذي لا رب لك سواه، ولا غنى لك عنه طرفة عين، فتؤمنَ به وتوحِّده ولا تجعل له نِدًّا ولا شريكًا.

وأن تعلم أن الله الذي خلقك وخلق كل شيء وخلق الموت والحياة، ما خلق شيئًا باطلًا ولعبًا، وإنها خلقنا لعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، خلقنا لنعبده وحده لا لنعبد غيره ولا لنُعبد معه.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢]، ليختبرنا أيّنا أحسن له طاعة، وأتبع لأمره، وأخلص له، وأسرع إلى طلب رضاه، وأورع عن محارمه. وأحسن الأعمال ما تحرَّى فيه العبدُ الإخلاص لله ومتابعة رسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ﴾ [النساء: ١٢٥]، فالعمل لا يكون صحيحًا ومقبولًا عند الله حتى يكون خالصًا لله موافقًا لشرعه، وعلى هذا مدار العبودية لله ألّا **نعبد إلّا الله ولا نعبده إلّا بما شرع**، نأخذ عن الله ورسوله، ونتوجه إلى الله وحده.

فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ هو الشرط الأول، والمراد بإسلام الوجه لله: الاستسلام والانقياد والتسليم لأمر الله وحده. **يعني لا بد أن يُوحد العبد استسلامه لله فلا يستسلم لغيره، بل يرفض الاستسلام والانقياد لأي حكم أو شرع لم يأذن به الله.**

وقوله: ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ هو الشرط الثاني، والمراد به: أن يكون متّبعًا في استسلامه وانقياده وطاعاته إلى ما شرع الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته؛ فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلّا مع التوحيد؛ كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلّا مع الطهارة؛ فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾][(١)] ا.هـ.

فعمارة المسجد الحرام عبادة مشروعة، ولكن لمّا صدرت هذه العبادة ممن لا يوحد الله لم يقبلها الله عَزَّوَجَلَّ، بل ردّها على صاحبها وأحبطها فصارت لا قيمة لها.

والتوحيد لا يصح حتى تكون العبادة كلها بجميع أشكالها لله وحده، فإذا صرف العبد شيئًا من العبادة لغير الله فقد أشرك بالله، وفسدت بذلك جميع أعماله التي يؤديها لله.

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ...﴾ إلى قوله: ﴿... وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٣]، قالوا ربنا الله وحده لا شريك له وبَرِئوا من الآلهة والأنداد، ثم استقاموا على توحيد الله ولم يخلطوا إيمانهم بشرك، واستقاموا على متابعة رسوله ولم يبتدعوا من عند أنفسهم، ولم يغيّروا شيئًا من الدين ولم يشرّعوا ما لم يأذن به الله، ودعوا غيرهم إلى ما استقاموا عليه.

---

(١) أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع، اسم المؤلف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رتبها محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، دار النشر: دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، ص٢٦.

أتوا بتوحيد الله أولًا ثم استقاموا عبيدًا لله كما يحب ويرضى، فأخلصوا لله الدين والعمل والدعوة، وهذه هي حقيقة العبودية التي خُلقنا من أجلها.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(١).

فعلى المرء أن يتعهد قلبه وعمله أكثر من تعهده نفسه وماله، فمن لم يخلص عمله لله في الدنيا لم يُثب عليه في الآخرة.

فالواجب علينا أن نَعرف كيف نحقق هذه العبودية التي خُلقنا من أجلها، فإن لعبودية الله طريقًا واحدًا تتحقق به وهو الإسلام، ولهذه العبودية ركن وثيق وشرط لازم لا تصح إلّا به ألا وهو التوحيد.

ولهذا فإن معرفة الله ومعرفة الطريق لإخلاص العبودية له وحده هو العلم الذي يجب علينا أن نتعلمه ونحسنه، وهو أول العلوم وأعظمها وأهمها وأنفعها على الإطلاق، ومن فاته هذا العلم فهو أجهل الخلق وإن بلغ الذروة في علوم الدنيا، ومن نال هذا العلم وعمل به فهو أسعد الخلق وإن كان لا يجيد من علوم الدنيا شيئًا، فحسبه أن يعرف كيف يُسلم لله.

كيف نحقق عبوديتنا لله؟

اعلم – أرشدك الله –أنه لا طريق لتحقيق هذه العبودية إلّا طريقًا واحدًا هو الإسلام الذي أسُّه وأساسه توحيد رب العالمين اعتقادًا وقولًا وعملًا، وبهذا أرسل جميع المرسلين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فلا إله إلّا الله هي كلمة التوحيد التي جمعت الأنبياء على دين واحد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٦٤).

وهي ملة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، روى ابن جرير[١] عن مجاهد وقتادة والسُّدِّي أن هذه الكلمة الباقية هي كلمة التوحيد (لا إله إلّا الله). ومعناها البراءة من كل ما يُعبد من دون الله ومن عابديها، والتوجه بالعبادة والولاء لله وحده.

وهي الكلمة السواء التي دعا إليها رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

هذه هي كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والإسلام، لا يمكن أن تكون مسلمًا حتى تؤمن بها اعتقادًا وقولًا وعملًا.

عن بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال قال رسول اللَّهِ ﷺ: « بُنِيَ الْإِسْلَامُ على خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ »[٢].

وفسر ﷺ شهادة أن لا إله إلّا الله بقوله: « أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ».

عن بن عمر عن النبي ﷺ قال: « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[٣].

وفي حديث وفد عبد القيس قال ﷺ: « اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَصُومُوا رَمَضَانَ»[٤].

هذا هو أصل الإسلام أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئًا وتكفر بما يُعبد من دونه.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، اسم المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م، دار النشر: مؤسسة الرسالة، ج٢١/ص٥٨٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان (٨) ، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (١٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان (١٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي (٤٣٦٨)، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (١٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل][1] ا. هـ.

وليس الإسلام مجرد النطق بالشهادتين، فالله عَزَّوَجَلَّ لم يبعث رسله ليأمروا الناس أن يقولوا بألسنتهم (لا إله إلّا الله) فقط، بل بعثهم الله لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، فعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت[2] وهو كل ما يعبد من دون الله هو التوحيد، وهو دين الأنبياء جميعًا، ولا يتحقق بمجرد القول فقط، ولا بالاعتقاد والقول دون العمل، بل لا بد من الاعتقاد والقول والعمل جميعًا.

ولا خلاف في أن التوحيد لا بد أن يكون بهذه الأركان الثلاثة الاعتقاد والقول والعمل، فليس كل من قال لا إله إلا الله يُعَدُّ مؤمنًا بها حتى يحقق الإيمان بألوهية الله وحده (أي عبادة الله وحده) ويكفر بألوهية غيره اعتقادًا وقولًا وعملًا، فعبادة الله وحده لا بد أن تكون بالاعتقاد والقول والعمل، واجتناب الطاغوت لا بد أن يكون بالاعتقاد والقول والعمل أيضًا، ولا يتم هذا كله إلّا بعد معرفة التوحيد وما يضادّه من الشرك، وبعد المعرفة الصحيحة والاقتناع يأتي الاعتقاد (أي عقد القلب على ما أيقن أنه الحق)، ويأتي القول والعمل، فيُخلص العبادة بجميع أنواعها لله وحده ويبرأ من الشرك وأهله.

فبالمعرفة الصحيحة، والاعتقاد الجازم، والقول الصادق، والالتزام والعمل بما عرف واعتقد وشَهِد، يتحقق الإسلام.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، اسم المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، دار النشر: دار ابن القيم بالدمّام، ص٦٠٨.

(٢) يعرف ابن القيم الطاغوت بأنه: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله.

وإذا غابت المعرفة غاب كل ما بعدها، فالجاهل بالتوحيد لا يصح له اعتقاد ولا قول ولا عمل، فكيف يصح له إسلام؟ وبأي شيء يكون مسلمًا وهو لا يعرف التوحيد ولا يعتقده ولا يعمل به؟

وإذا غاب أصل الإيمان وهو التوحيد فلا تنفع العبد أخلاقه وأعماله الصالحة ولا تغني عنه شيئًا.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٖ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥]، تأمل هذه الآية جيدًا، فإن المخاطبَ بها أعظمُ الناس طاعة لله وأحسنُهم خُلقًا.

فالشرك بالله يُخرج صاحبه من الإسلام ويُحبط سائر أعماله التي كان يتعبد بها لله، ويصيِّره عبدًا لغير الله، وربنا جَلَّوَعَلَا لا يرضى أن يُشرك معه أحد أبدًا، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

ومن هنا نعلم أن عبوديتنا لله لن تكون مقبولة إلّا إذا كانت خالصة لله وحده موافقة لدينه الذي ارتضاه وجاء به رسوله، فالتوحيد شرط تحقيق هذه العبودية وهو أصل الإسلام وركنه الذي لا يصح بدونه، والشرك بالله ينقض هذا الأصل ويهدم الدين ويصيِّر صاحبه في دين آخر غير الإسلام؛ لأنه خرج بشركه من عبودية الله إلى عبودية غيره.

فانظر إلى حالك وحال الأمة من حولك هل يعرف أكثرهم هذا الشرك الذي ينقض الإسلام ويهدمه ويصيِّر صاحبه مشركًا وإن كان صوَّام النهار قوَّام الليل؟!

أكثر الناس اليوم لا يعرف التوحيد الذي لا يكون الرجل مسلمًا إلّا به، ويظن أن الإسلام يتحقق بمجرد النطق بحروف هذه الكلمة (لا إله إلّا الله) دون معرفة معناها واعتقادها والعمل بها.

---

(١) حديث قدسي: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق (٢٩٨٥). ورواه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد (٤٢٠٢). ورواه أحمد في مسنده (٢/٣٠١، ٢/٤٣٥). مع اختلاف يسير في اللفظ.

فـاللهَ اللهَ في تعلُّـم ديـن الله الـذي أولـه وأساسـه توحيـد رب العـالمين والـبراءة مـن الـشرك والمشركين، فالإسلام في هذا الزمان قد عاد غريبًا كما بدأ ولم يبقَ منه ظاهرًا إلّا اسمه، فلا تغتر بأن ديانتك في البطاقة مسلم، والناس من حولك يحكمون لك بالإسلام، وانظر هل أنت حقًا مسلم؟ هل تدين لله بالتوحيد والبراءة من الشرك وأهله؟ هل تعبد الله وحده وتكفر بما يعبد من دونه وتتبرأ منه؟

ابْحثْ عن الإسلام الحق الذي لا يرضَى الله دينًا سواه، وليكن أول ما تبدأ به – لكي تعرف الإسلام – أن تبدأ بمعرفة أصله وهو التوحيد، فإذا عرفت التوحيد فتعلَّم كيف تحققه في واقع حياتك، واعرف الشرك الذي ينقض التوحيد ويهدمه، واحذره واجتنبه وفارق أهله وتبرأ منهم.

ارجع إلى كتاب الله وتأمل ما الذي دعا إليه رسل الله؟

وما هو الأمر الذي استفتحوا به دعوتهم؟

وما هو الأصل الذي اجتمعوا عليه جميعًا؟

وما هو الخلاف بينهم وبين قومهم؟

وهل كان الرجل يدخل في هذا الدين بمجرد النطق بكلمة التوحيد مع استمراره على شركه واعتقاده أنه على حق؟ أم أنه لا بد أن يترك الشرك ويجتنب الطاغوت ويوحِّد الله اعتقادًا وقولًا وعملًا؟

هل كان شرطًا في الإسلام أن يجتنب العبد الشرك ويكفر بما يُعبد من دون الله، ويتبرأ من العابدين لغير الله والمشركين به غيره؟

تأمل في كتاب الله لو كان الإسلام يحصل بمجرد النطق بكلمة التوحيد لماذا أنكر المشركون ترك آلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله؟ قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٠].

ما علاقة النطق بلا إله إلّا الله بترك عبادة غير الله واعتقاد بطلانها؟

قد يبدو السؤال غريبًا، ولكن ألا ترى معي أن كثيرًا من الناس اليوم يجمع بين قول لا إله إلّا الله وعبادة غير الله؟!

ألا ترى من يقول لا إله إلّا الله وهو يتخذ من دون الله أندادًا يحبهم كمحبة الله ويدعوهم ويستغيث ويستشفع بهم.

ألا ترى من يقول لا إله إلّا الله وهو يتخذ من دون الله أربابًا ومشرعين يتبع تشريعاتهم ويحتكم إلى قوانينهم؟!

هذا لأنهم غير مؤمنين بما يقولون بألسنتهم، فالإيمان اعتقاد وقول وعمل، وهؤلاء ليس لهم من التوحيد إلّا كلمة يرددونها بألسنتهم لا يعرفون معناها ولا يعتقدونه ولا يعملون به.

كيف يكون مسلمًا من يجمع بين التوحيد ونقيضه؟

يوحد الله قولًا ويشرك به قولًا واعتقادًا وعملًا ويزعم أنه مسلم؟!!

كيف يكون مسلمًا من يجمع بين قول لا إله إلّا الله والشرك بالله؟

كيف يكون مسلمًا من لا يعرف الحد الفاصل بين الإسلام والكفر؟ ولا يميِّز بين المسلمين والكفار؟

كيف يكون مسلمًا من لا يكفِّر الكفار ويتبرأ منهم؟

كيف يكون مسلمًا من يصحح مذاهب الكفار ونظرياتهم ويحسنها؟

كيف يكون مسلمًا من لا يعرف معنى هذه الكلمة العظيمة وما يجب عليه اعتقاده والعمل به وما يجب عليه تركه والبراءة منه؟

المسلم من أخلص العبادة لله والمشرك من صرف العبادة لغيره

تأمل في كتاب الله ما ضرب الله فيه من أمثال يبين بها التوحيد وضدّه، كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٩﴾ [الزمر: ٢٩].

هذا المثل يبين حقيقة الإسلام والشرك بوضوح يفهمه جميع الناس.

عبدٌ يتنازع فيه شركاء، وعبدٌ ليس له إلّا سيد واحد لا يطيع غيره، هل يستويان مثلًا؟

هذا العبد الذي له أكثر من سيد هو مثل المشرك يعبد الله ويعبد غيره، ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾.

والعبد الذي له سيد واحد هو مثل الموحد لا يعبد إلّا الله، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾.

هذا مثل بسيط يبين الإسلام بوضوح وبساطة، فهل يعقل هذا أكثر الناس اليوم؟

الذين يتخذون حَكَمًا ومُشَرِّعا غير الله إنما يتخذون سيدًا ومعبودًا غير الله، وهذا كفرٌ بلا إله إلّا الله، ونقضٌ للإسلام وخروج عنه.

الذين يقبلون التشريع من غير الله قد رضوا بأن يكونوا عبيدًا لغير الله، وهو أيضًا كفرٌ بلا إله إلّا الله، ونقضٌ للإسلام وخروج عنه.

قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ﴾ [الأنعام:١١٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢﴾ [الزمر: ١١-١٢]، أي: أمرني ربي أن أعبده مفردًا له الطاعة دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد، وأمرني لأن أكون أول من أسلم منكم، فخضع له بالتوحيد وأخلص له العبادة وبَرِئ من كل ما دونه من الآلهة.

هذا هو موقف الموحد الذي لا يرضى أن يكون عبدًا لغير خالقه ومولاه.

أما الذي يقبل ما يشرِّعه المشرعون من دون الله، ويتخذ مع الله شريكًا في الحكم والتشريع فهذا مشرك بالله كافر بلا إله إلّا الله، قال تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ

ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠]، هذا هو حال المشركين مع الله.

فالمسلم من أسلم لله وحده، وأما من أسلم لله ولغيره أو استكبر عن الاستسلام له فهذا كافر مشرك.

المسلم لا يتعبد إلّا لخالقه وسيده ومولاه، ويرفض أن يكون عبدًا لغيره.

المسلم لا يخرج عن شرع الله ولا يقبل شرعًا لم يأذن به الله.

المسلم هو الموحد الذي يتعبد لله وحده بقبول شرعه والانقياد له ويرفض أي تشريع من غير الله.

وأما الذي يرفض تحكيم شريعة الله إنما يرفض ألوهية الله عَزَّوَجَلَّ، ويقبل بألوهية غيره.

والذي يتّبع ما يشرِّعه العلماء والحكام الخارجون عن شريعة الله فهو مشرك بالله.

لا يمكن أن يكون مثل هذا مسلمًا لله وحده.

لا يمكن أن يكون مثل هذا موحدًا كالعبد الذي لا يعرف إلّا سيدًا واحدًا؟!

إن اتباع أي تشريع لم يأذن به الله هو الشرك الذي يهدم الإسلام وينقض التوحيد، ولا يصح الإسلام إلّا بقبول شريعة الله وحده والانقياد لها ورفض جميع التشريعات البشرية والقوانين الوضعية التي تخالف شريعة رب البرية.

كيف يزعم الإسلام من ينافس الله في حقه الخالص ويدَّعي حق التشريع من دون الله؟

كيف يزعم أنه مستسلم لله وهو يرفض الانقياد لشريعته والالتزام بها؟

كيف يزعم أنه عابد لله وهو يُعبد ويُتبع من دون الله؟

كل المخلوقات قد أسلمت لأمر الله وحده، وهذا الكافر يرفض تحكيم شريعة الله ويأبى الاستسلام لأمره، ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ۝٨٣﴾ [آل عمران: ٨٣].

كيف يرفض عاقل أن يُحكم بشرع أحكم الحاكمين ويرضى أن يُحكم بحكم الجاهلية؟

كيف يخرج عاقل عن طوع خالقه الذي سجد له ما في السموات والأرض؟

كيف يسلم عاقل لمخلوق مثله لا يملك خلقه ولا رزقه ولا موته ولا حياته ولا نفعه ولا ضره؟!!

كيف يرفض عاقل أن يكون عبدًا مخلصًا لخالقه ورازقه ويقبل أن يكون عبدًا لمخلوق مثله؟!!

موقف المسلم من أوامر الله وشريعته

الإسلام لله وحده هو ملة إبراهيم خليل الله ورسوله، ولم يسلم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لغير الله أبدًا، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١]، أي استسلمت وخضعت وانقدت لله وحده.

كان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إمامًا وقدوة في تحقيق الإسلام لله، وقد صوَّر أروع مثل في ذلك يوم استسلم لأمر الله بذبح ابنه وفلذة كبده، قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠١ - ١٠٧].

أسلم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأمر الله بذبح ابنه دون أدنى معارضة أو مناقشة أو تأخر، كما أسلم ابنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للذبح لمّا علِم أن الأمر جاء من الله أمر به أباه دون أدنى معارضة أو مناقشة أو تأخر، ولمّا تلقى الأب وابنه أمر الله بالقبول والتسليم وبدَءا في الامتثال الفعلي للأمر قال الله عنهما: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾، رضيَا بأمر الله وانقادَا له، فأسلم الابن نفسه لله تعالى وأسلم الأب ابنه لله تعالى.

هذا هو الموقف الذي يجب أن يكون عليه المسلم تجاه أوامر الله ونواهيه وأحكامه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن

يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]، إذا أتى الأمر عن الله ورسوله فليس إلّا التسليم والانقياد.

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٤٨ - ٥١].

إن عدم تحكيم شرع الله، أو الإعراض عن حكم الله ورسوله، أو رفض الدعوة لتحكيم الشريعة، أو استبدال شريعة الله بالقانون الوضعي الذي هو حكم الجاهلية، أو الجمع بين حكم الله وحكم غيره، كل هذا كفر بالله يتنافى مع الإسلام ويناقضه.

والإسلام لله هو السمع والطاعة لكل ما يأتي عن الله ورسوله.

قد جعل الله عَزَّوَجَلَّ إخلاص الاستسلام له وحده دون شريك، هو دينه الذي لا يرضى من العباد غيره، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ﴾ [النساء:١٢٥]. فالإسلام أن تستسلم لله لا لغيره، وتتبع ما جاء به رسوله لا ما يشرِّعه المشرعون بغير إذنه، وأن تكون على ملة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

ومن استسلم لله في جانب واستسلم لغيره في جانب آخر فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

التشريع مع الله واتباع المشرعين من دون الله شرك يناقض الإسلام

إن اتباع أي تشريع لم يأذن به الله هو الشرك الذي يهدم الإسلام وينقض التوحيد، ولا يصح الإسلام إلّا بقبول شريعة الله وحده والانقياد لها ورفض جميع التشريعات البشرية والقوانين الوضعية التي تخالف شريعة رب البرية.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

هذه الآية أيضًا خوطب بها الرسول ﷺ وصحبه أعظم الناس خُلقًا ودينًا ومحبةً لله وخشية له، فهؤلاء إن وقع منهم ما يناقض توحيدهم وهو الشرك بالله المتمثل في طاعة الكفار في تبديل حكم واحد من أحكام الله وهو حكم الميتة، صاروا بذلك من المشركين في حكم أحكم الحاكمين؛ لأنهم هدموا الأصل الذي بنوا عليه دينهم وكانوا به مسلمين، فلا ينفعهم بعد هذا الشرك الذي نقضوا به إسلامهم عملٌ صالحٌ ولا خلقٌ حسنٌ، ولا ينفعهم قول لا إله إلا الله، ولا سَبْقُهم في الإسلام، ولا صحبتهم لرسول الله ﷺ، ويصيرون في عداد المشركين مع أبي جهل وغيره، وذلك إذا أطاعوا الكفار في تغيير حكم واحد لا غير، وباقي أحكام الشريعة كما هي لم يغيروا منها شيئًا.

فكيف بمن يبدل بنفسه أحكام الله ويشرِّع ما لم يأذن به ربه ومولاه!! وكيف بمن يواليه مع فعله هذا وينصره ويتبعه؟!!

لن تنفع الناسَ اليوم أعمالُهم من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وغيرها وهم مستسلمون لغير الله باتباع شرائع ومناهج وقوانين ما أنزل الله بها من سلطان ولا أذن بها ولا رضي عنها.

إذا تعدد المصدر الذي يتلقون منه الحكم والتشريع فهذا يعني أن لهم آلهة وأربابًا من دون الله، وهذا هو نقيض الإسلام.

وأكثر الناس اليوم لا يعرفون هذا، فلجهلهم بحقيقة الإسلام تجدهم يعتبرون أنفسهم مستسلمين لله وحده وهم يتلقون تشريعات ساداتهم ورؤسائهم بالقبول والانقياد!!

أهذا هو دين الله؟

ألم يقرؤوا قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٩﴾ [الزمر: ٢٩].

وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقوله: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٢٦].

وقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٣].

وقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

وقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقوله: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران: ٨٠].

وقوله تعالى واصفًا حال الكفار في نار جهنم: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ۝٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٦ – ٦٨].

فأين إسلام من يشرِّع للناس مع الله منهجًا وقانونًا لتنظيم حياتهم السياسية والاقتصادية وغيرها؟

أين إسلامه لله؟ وأين توحيده؟ وأين زعمه بأن ليس له إله مع الله؟

يشرِّع من دون الله، ويريد أن يُطاع شرعه وقانونه كما يُطاع شرع الله، ويُقدّم ما شرعه على شريعة الله ويوجب الحكم به، وينحّي شريعة الله، ومع هذا كله يعتبر نفسه مسلمًا لله وحده؟؟!!

أين إسلام أتباعه الذين يوالونه ويطيعونه؟ وأين توحيدهم؟ وأين زعمهم بأن ليس لهم إله من دون الله؟

هذا هو حال من لا يعرف التوحيد، فالجهل بالتوحيد يجعل صاحبه لا يفرق بين المسلم والكافر، ولا يعرف الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، فتراه يخلط بين عبادة غير الله الذي هو دين المشركين وبين الإسلام الذي هو دين التوحيد.

الجهل بالتوحيد يجعل صاحبه يتخبط في أوحال الشرك وهو لا يشعر، يدعو الله ويدعو غيره، ويذبح لله ويذبح لغيره، ويطيع الله ويطيع غيره.

الجهل بالتوحيد يجعل صاحبه يتحاكم إلى الطاغوت ويزعم أنه مؤمن بالله وحده.

الجهل بالتوحيد يجعل صاحبه يقبل تشريعات البشر ويرفض شريعة خالقه ويحسب أنه من المهتدين.

الجهل بالتوحيد يجعل صاحبه ينادي بالعلمانية[١] والديمقراطية ودولة الدستور والقانون الوضعي ويقول إنني من المسلمين.

---

(١) العلمانية: هي نظام جاهلي يقوم على مبدأ فصل الدين وعزله عن الدولة والمجتمع، وإقامة الحياة العامة بعيدًا عن شريعة الله بتنحيتها وإقصائها عن الحكم.

وهي تشبه الديمقراطية من حيث أنها تقوم على مبدأ حكم وسيادة الشعب، وعلى حرية التدين، وعلى الحرية الشخصية، وعلى دستور وضعي يشرعه أصحاب السلطة التشريعية الذين انتخبهم الشعب.

فهي نظام طاغوت جاهلي أساسه الكفر بالله ودينه ورسوله.

الديمقراطية: هي نظام الحكم الذي يكون فيه الشعب هو صاحب السيادة والسلطة، بحيث ينتخب ممثلين ينوبون عنه ويتولون سلطة إصدار القوانين والتشريعات، وتسمى هذه الجهة صاحبة السلطة التشريعية بالبرلمان أو مجلس الأمة أو مجلس الشعب أو مجلس الشيوخ أو غير ذلك.

وتقوم الديمقراطية على مبدأ حرية التدين والاعتقاد والفكر والتعبير، فللمرء في ظل الأنظمة الديمقراطية أن يعتقد ما يشاء، ويتدين بالدين الذي يشاء، وله أن يكتب ما يشاء وينشره ويعبر عمّا يريد، ولو كان كفرًا وطعنًا في الدين.

فهي عبارة عن نظام جاهلي يقوم على أساس إعطاء حق التشريع وسنِّ القوانين لغير الله، وإخراج الناس من عبودية الله والتقيد بشريعته إلى عبودية البشر والسير على منهج الكفر والإلحاد.

الجهل بالتوحيد يعني الجهل بالإسلام، والجهل بالإسلام يعني عدم الإسلام، فمن لم يكن له توحيد صحيح ليس له إسلام صحيح.

والقصد التنبيه والتحريض على تعلم حقيقة دين الإسلام وأصله القويم الذي لا يصح ما سواه إلّا بتحقيقه عقيدة وقولًا وعملًا.

ويجب أن نعلم أن الإسلام منهج حياة متكامل ينظم علاقة المسلم بخالقه كما ينظم أيضًا علاقته بمن حوله من أفراد جنسه المسلمين والكفار، وأيضا علاقته بغيره من المخلوقات الجماد والحيوان، أي ينظم له حياته كلها، فمن رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا يجب عليه أن يُسلم وجهه لله وحده ويجعل حياته كلها لله بل مماته أيضًا، متّبعًا في ذلك كله ما شرعه له ربه على لسان رسوله.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٦١- ١٦٤].

وقال في أول السورة: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤].

وقال في وسطها: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٤].

فالعبودية لله وحده، والولاء لله وحده، والحكم لله وحده، والمسلم من لا يتخذ من دون الله وليًّا ولا حَكَمًا ولا معبودًا.

هذا هو الإسلام دين الله الذي لا يرضى سواه.

هل عرفته الآن؟

حال الناس مع الإسلام

اعلم – أيها القارئ – أنك لن تستفيد بها قرأته حتى تُنزله على واقعك وواقع الناس من حولك.

أولًا يجب عليك أن تعرف الإسلام الحق، ثم اعرض نفسك ومن حولك عليه، وحِينها سوف تعرف المسلم من الكافر.

انظر في نفسك أولًا، هل أنت حقًّا تدين بالإسلام؟

وانظر إلى واقع الناس من حولك، وتفقَّد الإسلام فيهم، هل ترى له أثرًا؟

انظر حولك جيدًا يمينًا وشمالًا هل يدين الناس بالإسلام؟

هل هم حقًّا مسلمون لم يغيّروا ولم يبدّلوا ولم يخرجوا عنه؟

إن كنت تريد أن تخرج بالنتيجة الصحيحة فلا تخدع نفسك، ولا تمشي وراء الخيال، وزِن الناس بالإسلام الحق، ولا تكتفِ باتباع كل ناعق، وترضى أن تقلد في دينك الرجال.

انظر إلى هذه القبور المشيَّدة وهذه الأضرحة المنتشرة في كل مكان، وهذه المزارات لما يسمونهم الأولياء، أُلوف الأضرحة المنسوبة إلى الأنبياء والصحابة والأولياء منتشرة في الواقع من حولك، ولعل في بلدك الكثير منها.

بعضها يُبنى في المقابر حيث تبدو القبة شاهقة وسط القبور، وبعضها يُبنى في المساجد، قد تكون في قبلة المسجد، أو في الخلف، أو في أحد جوانبه، أو حوله.

ففي مصر: ضريح الحسين، وضريح السيدة زينب، وضريح السيدة عائشة، وضريح السيدة سكينة، وضريح السيدة نفيسة، وضريح الإمام الشافعي، وضريح الليث بن سعد، والبدوي، وإبراهيم الدسوقي، والشاذلي، وغيرها كثير جدًا، حتى قيل أنها أكثر من ستة آلف ضريح.

وفي السودان: قبة الشيخ محمد البرهاني، وقبة الشيخ قريب الله، وقبة الشيخ حسن ود حسّونة، وقبة الشيخ أبو زيد، وقبة الشيخ محمد بن عبد الله كريم الدين، وقبة الشيخ خوجلي أبو الجاز، وقبة الشيخ الطريفي، وقبة الشيخ أحمد الريح، وقبة أبو النعلين، وغير ذلك كثير.

وفي ليبيا يوجد الكثير من القباب والأضرحة، منها: ضريح عبد السلام الأسمر، وأحمد الزروق، وأحمد البازة، وضريح رويفع الأنصاري، وغيرها.

وفي الشام أيضًا الكثير: منها ضريح خالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، وبن عربي، وأبي موسى الأشعري، وعمار بن ياسر، وعماد الدين زنكي، وغيرها كثير جدًا.

ألا تُذكِّرك هذه المشاهد والقباب والأضرحة بِوَدٍّ وسُواع ويغوث ويعوق ونسْرا واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

ألا يُعتقد فيها أنها تنفع وتضر وتجيب دعاء المضطر وتقضي حاجة الملهوف؟

ألا يُعتقد فيها أنها تشفع لهم عند الله وأنها واسطة بينهم وبين الله؟

ألا يدعونها لقضاء الحاجات ويستغيثون بها لكشف الكربات، ويطلبون منها شفاء المريض وإنزال الغيث؟

ألا يتبركون بها ويطوفون عليها ويذبحون لها القرابين وينذرون لها النذور؟

أليس هذا هو عين ما يفعله أهل الجاهلية الأولى؟

أليس هذا هو الشرك الأكبر المناقض للتوحيد؟

أليست هذه آلهة وأندادًا معبودة من دون الله؟

هل ينفع هؤلاء قول لا إله إلّا الله وهم يؤلِّهون غير الله؟

إن كنت تظن أنهم مع شركهم هذا يكونون مسلمين فمعنى هذا أنك لم تعرف الإسلام بعد، لأنه لا إسلام من غير توحيد، وهؤلاء يجهلون التوحيد ولا يعتقدونه ولا يعملون به، فكيف يكونون مسلمين من غير معرفة للتوحيد ولا اعتقاد له ولا عمل به ولا براءة من الشرك وأهله؟!!

هذا نوع من أنواع الآلهة المعبودة في كثير من بلدان العالم.

وليست هذه كل الآلهة الموجودة، ولكن هناك أنواع وأنواع أخرى من المعبودات الباطلة.

هناك نوع آخر من الآلهة والأرباب المعبودة من دون الله، وهي التي قال الله عنها: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١].

هؤلاء الأرباب والشركاء هم أولئك الذين يمارسون حق التشريع مع رب السموات والأرض، يشرِّعون ما لم يأذن به الله، ويغيِّرون أحكام الله فيحلون ويحرمون من دون الله، ويضعون القوانين التي تحكم الناس في الفروج والأموال والدماء والأعراض وغيرها من مجالات الحياة.

من أين لهم الحق في ذلك؟ هل شاركوا الله عَزَّوَجَلَّ في الخلق حتى يشاركوه في الأمر؟!!

هؤلاء الأرباب هم أصحاب المجالس التشريعية الذين أُعطيت لهم السلطة التشريعية التي يمارسون من خلالها وضع اللوائح الدستورية وبنود القانون، ويزعمون أنهم مُختارون من قبل الشعب مُخوَّلون لهذه المهمة، والشعب لهم سامع مطيع.

هذا الأمر موجود في جميع دول العالم لا تخلوا منه دولة، إن لم يكن التشريع لمجلس البرلمان أو مجلس الأمة أو مجلس الشورى فهو للملك أو الرئيس أو قائد الثورة (كالمسلسل الليبي أيام القذافي الهالك).

ليبيا أيام حكم الطاغوت القذافي وبعده

لنأخذ مثالًا: ليبيا أيام حكم الطاغوت القذافي وبعده:

لقد استخفّ القذافي شعبه وضحك عليهم طيلة اثنين وأربعين سنة، زعم منذ بداية أمره أنه صاحب نظرية عالمية ثالثة لم يسبقها إليه أحد، وجاءهم بالكتاب الأخضر يبشرهم فيه بعصر جديد يزعم أن الشعب هو الذي سيحكم نفسه بنفسه، ويجلس في المؤتمرات ليشرع ما يراه مناسبا لتنظيم حياته، يُبيح ما يشاء ويمنع ما يشاء، لا حكم ولا سيادة إلّا للشعب، وهو (أي القذافي) مجرد قائد ثورة ومرشد للجماهير، فصفّق الشعب فرَحًا بعصر التحرر والانعتاق من العبودية حتى ولو كانت عبودية الله واتّباع شريعته وحكمه، وهتفوا لقائدهم يُفدونه بالروح والدم، وغَنّى السفيه مادحًا

القائد المظفر: (عظيم الشان، و لولاك ما هبَّت أنسام نسايم، وو..) وغنَّى الآخر قائلًا: (قد أصبح الشعب إلهًا)، كل هذا فرحًا وطربًا بالنظام الجديد الذي يجلس فيه الشعب في مجالس التشريع مكان مجلس البرلمان، بدل أن كان حق التشريع قاصرًا على فئة من الشعب جاء القذافي ليعطي هذا الحق للشعب كله، هذا هو نظام الحكم الجديد الذي رقص له الشعب وغنَّى.

ولكن سرعان ما ظهرت حقيقة القائد المزعوم، فإذا هو يستأثر بالحكم والتشريع لنفسه، ويستحوذ على السلطة بل وعلى الثروة والسلاح أيضًا، ويستعبد الشعب ويسخّره لخدمة نفسه وحماية ملكه، وإذا هو المصدر الوحيد للحكم والتشريع في ليبيا (جماهيريته المزعومة)، وإذا كتابه الأخضر (الذي حوى خرافاته وزبالة أذهان من قبله) قرآنه الذي تتلوه لجانه الثورية صباحًا ومساءًا، فأول ما يُستفتح به في الإذاعة كلام الله عَزَّوَجَلَّ وبعده مباشرة قرآن القذافي، وقد وضع فيه حلاله وحرامه وحكمه وشرعه ونظامه، وجعله بديلًا عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، حتى صار يُعلِّم الأطفال في المدارس أن يقولوا (الكتاب الأخضر منهجي ودليلي)، ويُقسموا أن يحافظوا عليه.

ورغم وضوح حقيقة القذافي من البداية إلّا أن شعبه ظل مخدوعًا به طوال اثنين وأربعين سنة، إلا فئةً قليلةً عرفتْ أن المؤتمرات الشعبية ما هي إلّا تمثيلية من تمثيليّات القذافي، وأن الحكم والتشريع قد استحوذ عليه القذافي، فلم يترك مجالًا لأي رأي آخر معه، بل القول الأول والأخير له وحده. وقد مارس القذافي التمثيل على الشعب حتى آخر لحظة، ومما شجّعه على ذلك كثرة المطبلين والمصفقين له والهاتفين باسمه، ولم أسمع في حياتي بأكذب منه، ولا أحب منه للشهرة والظهور والرئاسة، حتى قيل أنه شكَّل لجانًا سرية لمحاربة النجومية (أي كل من له ظهور أو صيت أو شهرة، يحاول أن يكيد له المكائد ليطمس ظهوره وشهرته ليبقى هو البطل الوحيد)، وكان يحلم أن يكون الإمبراطور الأعظم للعالم كله، حاول أولًا أن يترأس العالم العربي ففشل؛ لأن غيره من طواغيت العرب يسعون لذلك أيضًا، فذهب إلى إفريقيا وزعم أنه رسول الصحراء والمبشِّر بعصر سيادة العبيد، وأغراهم بالأموال الطائلة، فإذا هو ملك ملوك أفريقيا، ولكنه لم يفرح بها كثيرًا، حتى أذاقه الله عَزَّوَجَلَّ من الذلّ والهوان ما جعله عبرة لكل متكبر جبار، فكان نهاية أمره أن صار يُصفع على

وجهه ويُركل بالأقدام وهو يستنجد ويستغيث، وما أعلم أحدًا من الملوك تعرض للإهانة والمذلّة مثل ما تعرض له القذافي في نهاية عمره، والحمد لله على ذلك، فقد ادّعى الربوبية تلميحًا، وادّعى أنه خير من رسول الله ﷺ تصريحًا، وحرّف القرآن واستهزأ بدين الله، وبرسوله ﷺ وسنته وبصحابته الأخيار، وببيت الله العتيق.

انتهى القذافي وانتهى نظامه، والآن نحن في مرحلة ما بعد القذافي، فما هو النظام الجديد؟ وأين هو من الإسلام؟

من المعلوم أن لكل نظام شرائع وأحكام وقوانين تُسيِّره، وهي عبارة عن مجموعة من الأوامر والنواهي والحدود والعقوبات، لا يخلو أي نظام من هذا.

والسؤال هنا: ما هي مصادر التشريع لهذه الأحكام والقوانين في النظام الملكي ما قبل القذافي وفي نظام القذافي وما بعده؟

وبصيغة أخرى: لمن حق التشريع ووضع القوانين خلال هذه الفترات الثلاث؟

أما مرحلة النظام الملكي قبل القذافي: الملِك هو صاحب السلطة التشريعية(١) يتولاها بالاشتراك مع مجلس الأمة، فهو الذي يصدِّق على القوانين ويصدرها، ويضع اللوائح اللازمة لتنفيذ القوانين.

أما في عهد جماهيرية القذافي: فلا حكم ولا سيادة ولا قانون إلّا عن القذافي، فهو المشرِّع الوحيد، وربما يكون للمؤتمرات الشعبية نصيب الفأر مع الأسد في بعض الأمور، ولكن بشرط أن تكون تحت توجيهات (أخوهم القائد!).

وأما ما بعد القذافي (وهو ما تمر به ليبيا هذه الأيام) فقد تنادت أصوات كثيرة بأن يكون النظام ديمقراطيًا يُسمح فيه بتعدد الأحزاب، وينادون بدولة الدستور والقانون.

---

(١) جاء في الدستور الليبي الصادر سنة ١٩٥١م، الفصل الرابع المادة رقم (٤١): السلطة التشريعية يتولاها الملك بالاشتراك مع مجلس الأمة، ويصدر الملك القوانين بعد أن يقرها مجلس الأمة على الوجه المبين في هذا الدستور.

وجاء في الفصل الخامس المادة (٦٢): الملك يصدق على القوانين ويصدرها.

ولـمّـا كان النظام الديمقراطي يقوم على مبدأ إعطاء حق التشريع لغير الله، فقد حاولوا دمج الديمقراطية مع الإسلام (حسب زعمهم) ونادوا بما يسمونه (أسلمة الديمقراطية)، ونصَّ الدستور الجديد المؤقت على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع، وفي الوقت نفسه ينص الدستور على أن الشعب هو مصدر السلطات، وأن المجلس الوطني الانتقالي المؤقت هو أعلي سلطة في الدولة الليبية، ويباشر أعمال السيادة العليا، بما في ذلك التشريع ووضع السياسة العامة للدولة.

هذه هي حقيقة الأنظمة الثلاث، التشريع فيها لغير الله صراحة من غير احتشام.

وقد عرفتَ سابقًا أن الإسلام يقوم على توحيد الله في العبادة، وأن الحكم والتشريع لله وحده، وأن أي تشريع من غير الله هو كفر وشرك يناقض الإسلام، وأن اتباع أي قانون أو تشريع من غير الله هو كفر وشرك يناقض الإسلام، وأن الحكم به أو التحاكم إليه هو أيضًا كفر وشرك يناقض الإسلام.

فهل النظام الملكي قبل القذافي نظام إسلامي أم هو نظام كفري وشركي يعطي التشريع لغير الله؟

وهل النظام الجماهيري القذافي نظام إسلامي أم هو نظام كفري وشركي يعطي التشريع لغير الله؟

وهل الناس تحت هذين النظامين بقوا على الإسلام بقبولهم تشريعات غير الله واتباعها والحكم بها والتحاكم إليها ونصرتها والدفاع عنها والدخول تحتها؟

لا أظنك تعجز عن الإجابة الآن؟

أما بخصوص النظام الجديد فهي محاولة بائسة لخلط الشرك بالإسلام وحكم الله بحكم غيره، وأَدلُّ شيء على ذلك قولهم: أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع، فهذا يعني أنه سيكون هناك مصادر تشريعية أخرى، وهذا هو الكفر بعينه.

وهي عملية خداع يحاول من خلالها الديمقراطيون إرضاء من ينادي بتحكيم الشريعة بإعطاء النصيب الأكبر من التشريع لله جَلَّ وَعَلَا، ويعطوا شركاءهم النصيب الباقي، ثم من بعدها يأتون لما

أعطوه لله ويجعلونه لشركائهم، هكذا كما فعل المشركون من قبل، ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦].

ولكن لن يرضى بهذا من عرف الله، وعرف ما ينبغي له، وما لا يشاركه فيه أحد.

قال الله تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

لا فرق بين أن تكون شريعة الله هي المصدر الأول أو الثاني أو الثالث أو الأخير ما دام هناك مصادر تشريعية أخرى، فكل هذا كفر وشرك بالله في ميزان الإسلام، وهو في الحقيقة تعدد للآلهة والأرباب المعبودة، وهذا نقيض الإسلام القائم على توحيد الله عَزَّوَجَلَّ في الحكم والتشريع والولاء والعبادة، فالمسلم من يدين بتوحيد الله في الأمر والتشريع كما يدين بتوحيده في الخلق والملك، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالنظام الجديد في ليبيا لم يختلف عن سابقيه (نظام القذافي وما قبله) في قضية خطيرة تمس أصل دين الإسلام وبها يتحدد النظام هل هو نظام إسلامي أم نظام كفري.

فرق واضح أن تكون شريعة الله هي المصدر الأول والوحيد للتشريع وهذا هو التوحيد، وبهذا فقط يكون النظام إسلاميًا.

أو تكون شريعة الله هي المصدر الرئيس ومن حولها مصادر أخرى دونها وهذا هو الشرك بعينه، ولا يكون النظام بهذه الهيئة إلا نظامًا كفريًا جاهليًا.

إذا أراد الناس أن يرجعوا حقًّا للإسلام فليكن رجوعهم صادقًا هو أنفع لهم، لأن المخادع إنما يخدع نفسه، فالله لا يُخدع ولا تخفى عليه الحِيل.

إذا أرادوا أن يرجعوا للإسلام فليكفروا بالطاغوت وليؤمنوا بالله وحده، والطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ، يدخل فيه من أعطى لنفسه حق التشريع أو أُعطي له من دون الله، وكل حاكم بأحكام وقوانين ليست من عند الله ورسوله.

والنظام الذي لا يقوم على توحيد الله في الحكم والتشريع هو جاهلية وكفر.

إذا أراد الليبيون صدقًا أن يرجعوا للإسلام فليرفضوا الديمقراطية والعلمانية وليكفروا بها، ولا يحاولوا دمجهما في الإسلام؛ لأنهما نقيض الإسلام، فمن يحاول أن يجمع بين الديمقراطية والعلمانية والإسلام كمن يحاول أن يجمع بين الكفر والإسلام، ولا يفعل ذلك إلّا كافر بالله ورسوله ودينه وكتابه.

ما الذي يمنع الناس أن يرفضوا كل ما يخالف الإسلام ويعودوا إلى التوحيد الذي تركوه منذ زمن بعيد يوم عبدوا القبور مع الله وخضعوا لأصحاب القصور وتركوا شريعة العزيز الغفور.

إذا كانوا راغبين في الإسلام فليعودوا إلى توحيد الله في الحكم والتشريع فإن الإسلام لا يقوم إلّا على هذا التوحيد، ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

لماذا لا يجعلون شريعة الله وحدها لا غير هي مصدر الحكم والتشريع في البلاد؟

لماذا لا يرفضون أي حكم أو قانون أو تشريع من غير الله؟

لعلهم يريدون إسلامًا ترضى عنه اليهود والنصارى ومجموعة الدول الكبرى!!

هذا ما نراهم يسعون إليه، وربما يصلون إلى نظام يُرضون به مَن في الداخل والخارج، ولكن لن يكون أبدًا هو الإسلام.

ليُسموه ما شاءوا، وليضحكوا على من شاءوا، ولكن المسلم يبقى موقفه واضحًا، ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس: ٤١]، ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ ﴾[الزمر: ١٤-١٥].

لم يتغير الإسلام من يوم اختاره الله دينًا، ولكن الناس هم الذين خرجوا عن الإسلام وأبقوا لأنفسهم اسمه، وغطوا كفرهم وجاهليتهم بستار هو لافتة كبيرة كتبوا عليها هذا هو الإسلام.

فمن رفع الستار بَانَ له ما تحته.

الإسلام هو الإسلام لا زال كما هو، فمن أراده فالطريق إليه واضح، طريق واحد لا غير، هو التوحيد، توحيد التلقي والتوجه والاتباع.

والكفر هو الكفر، والجاهلية هي الجاهلية، والشرك هو الشرك، وإن سمّاه أصحابه بغير اسمه، فليسموه ما شاءوا، فلن يخدعوا إلّا أتباعهم الذين لا يريدون مفارقتهم، أما طالب الحق فقد تكفل الله بهدايته إذا صدق في الطلب وجدَّ في البحث، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ۝١١٢ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ۝١١٣ ﴾[الأنعام: ١١٢-١١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ۝٣١ ﴾ [الفرقان: ٣١].

لا يختلط الكفر بالإيمان فهما نقيضان، ولا الجاهلية بالإسلام، ولا الشرك بالتوحيد.

هناك محاولات كثيرة للتشويش والخلط، وقد انخدع الكثيرون بهذا الخلط، ولكن من هم هؤلاء الكثيرون؟

إنهم أولئك الذين يبحثون عن الأسماء البرَّاقة ولا يلتفتون إلى ما تحتها من حقائق، ولكنهم انخدعوا في أنفسهم أولًا ولهذا انخدعوا في الآخرين.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ۝١٠٤ ﴾[الكهف: ١٠٣-١٠٤].

إذا كانوا مخدوعين في أنفسهم ولا يعرفون الحقيقة، فكيف يعرفون حقيقة غيرهم؟!!

وهذا مثال على ذلك:

في جريدة الوطن الليبية - النسخة الإلكترونية - قرأتُ تعليقًا لأحد المشاركين على مقال بعنوان (أئمة ليبيا يطالبون بتطبيق الشريعة..)[1]، يقول في تعليقه: (إذا أردتم تطبيق الشريعة أيام الإسلام الأولى فعليكم تقنين العبودية بيعًا وشراءً، وتنظيم ملك اليمين من النساء والجواري، وتطبيق الحدود على مرأى من الناس، برجم الزاني مثلًا على مرأى من المحطات الفضائية رجمًا حتى الموت، والعيش بقوانين ١٤٠٠ سنه مضت إبّان الأيام الأولى للإسلام، ولْنقل نعيش طالبان ليبيا، وطبعًا تحريم الموسيقى، وتنقيب النساء، ومنعهم من العمل والدراسة، عندها سندعو إلى التنصير في ليبيا، وليكن ديننا النصرانية رحمة بهذا الشعب، وأقسم بالله أنني إنسان مسلم وسطي وملتزم حتى لا تركبكم الشكوك أنني غير ذلك) انتهى قوله.

يكتب رأيه معترضًا على تطبيق الشريعة، ويصرح بأن أحكام الله وقوانينه لا تصلح لهذا الزمن، ومع ذلك يزعم أنه مسلم ووسطي وملتزم أيضًا!، فأنّى لمثل هذا أن يرى حقيقة غيره وهو لا يعرف حقيقة نفسه.

ولهذا السبب فإننا نسمع كثيرًا هذه الأيام من يجمع بين الإسلام وضده، ويزعم أنه مسلم؛ والحقيقة أنه لا يعرف الإسلام.

نسمعهم يقولون: ديمقراطية إسلامية، علمانية إسلامية، بلد إسلامي ديمقراطي.

أسماءٌ برَّاقة، ولكن ما حقيقتها؟

الحقيقة أنه سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

الديمقراطية والعلمانية دين باطل أساسه الشرك والكفر بالله.

والإسلام هو دين الله الحق أساسه التوحيد.

فهل يجتمعان؟

هل يمكن أن نقول: كفر وشرك إسلامي، أو بلد إسلامي كفري.

لعل الأمر قد وضح الآن، والمقصد قد بَان.

---

(١) العدد الصادر بتاريخ: ٢٩ نوفمبر ٢٠١١م.

أين أنت من الإسلام؟

يا عبد الله، ويا أمة الله، دعْكم مما يزخرفه شياطين الإنس والجن، ولا تُصغوا إليه، فإنه لا يَصغى إليه إلّا من لا يؤمن بالآخرة، وانظروا كيف أنتم مع (لا إله إلّا الله)؟

هل عرفتم معناها؟

هل اعتقدتم وعملتم بما دلَّت عليه؟

إن لهذه الكلمة عند المسلم شأنًا عظيمًا، فهو يعرف جيدًا ما تعنيه هذه الكلمة، يعرف أنها ليست مجرد كلمة تُقال باللسان، بل هي اعتقاد وقول وعمل، إنها الأصل والأساس الذي يُبنى عليه الدين كله، فقلبه مطمئن بها ولسانه يلهج بذكرها وعمله موافق لها، عليها يحيى ومن أجلها يموت.

فانظر ماذا تعني لك هذه الكلمة؟

إن الله قد شرط عليك إن كنت تريد أن تكون مسلمًا أن تكفر بما يُعبد من دونه، وأن تعبده مخلصًا له الدين، وألّا تعبد أحدًا غيره، وأن تتبع رسوله.

فهل حققتَ هذا الشرط؟ أم تريد أن تكون مسلمًا بغير هذا؟

إن معرفة أصل الدين والعمل به والاستقامة عليه، هو أول ما يجب علينا أن نهتم به ونحرص عليه ونجتهد ونسارع فيه، فأول الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمدًا رسول الله، والعلم بعقيدة التوحيد وما يناقضها والعمل بها قبل كل شيء، قبل الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغيرها، وأيضًا هو أول ما يجب علينا أن نعلِّمه الناس، فالذي لا يعرف التوحيد ولا يعرف ما يناقضه لا يكون مسلمًا، فأي فائدة في أن نعلِّمه الوضوء والصلاة وشعائر الدين الأخرى وهو يفتقد الأصل الذي تُبنى عليه هذه الأعمال، فالواجب علينا أن نعلِّمه كيف يكون مسلمًا، فإذا هو عرف الإسلام وأقر به نعلِّمه شرائع الإسلام.

فمن عرف التوحيد وقَبِلَهُ وعمل به وجب عليه ما بعده، ومن كان جاهلًا بالتوحيد وجب عليه تعلُّمه واعتقاده والعمل به، ومن وقع فيما ينقض التوحيد وجب عليه أن يصحح توحيده أولًا.

عن بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ لمّا بعث معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على اليمن قال: « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[(١)].

وفي رواية له أخرى: «... فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ... »[(٢)].

وفي رواية لمسلم: «... فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ... »[(٣)].

فاحرص يا عبد الله على تعلم التوحيد وعُضّ عليه بالنواجذ، فهو مفتاح دعوة الرسل وأول فرض فرضه الله على العباد، وهو أول ما تدخل به في الإسلام وآخر ما تخرج به من الدنيا، كما قال ﷺ: « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(٤)]، فهو أول واجب وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره، ولا نجاة لأحد إلا به.

قال رسول الله ﷺ: « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»[(٥)].

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(٦)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة (١٤٥٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد (٧٣٧٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (١٩).

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز (٣١١٦). ورواه أحمد في مسنده (٥/٢٣٣، ٥/٢٤٧). ورواه الحاكم في مستدركه، كتاب الجنائز (١٢٩٩)، وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٥) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (٢٣)، ورواه أحمد في مسنده: ٣/٤٧٢ (١٥٩١٥، ١٥٩١٩)، ٦/٣٩٤ (٢٧٢٥٥).

(٦) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (٢٦) .

وعن معاذ بن جبل قال كنت رِدْفَ[1] رسول الله ﷺ على حمار، فقال: « يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: « فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[2].

وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله ما الْمُوجِبَتَانِ[3]؟ فقال: « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»[4].

وعن أبي ذَرٍّ عن النبي ﷺ قال: « أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّة، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى»[5].

والله أعلم.

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا ويرزقنا علمًا نافعًا.

---

(١) ردف: هو الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد (٢٨٥٦)، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (٣٠).

(٣) الموجبتان: معناه الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار.

(٤) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (٩٣)، ورواه أحمد في مسنده: ٣/٣٩١، ٣٤٦/٤.

(٥) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد (٧٤٨٧)، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (٩٤).

طريق الحرية

إخلاص العبودية

إن التحرر المطلق من كل عبودية حتى عبودية الله يتنافى مع طبيعة الإنسان، فمن طبيعته أنه مخلوق، والمخلوق عبد لخالقه، وعبوديته لخالقه لا تُنقص من قدره بل ترفعه، بينما عبوديته لمخلوق مثله تُذله وتُهينه، وهي أكبر معصية لربه، فهي التي يجب أن يتحرر منها، فالتحرر الحقيقي هو التحرر من عبودية الناس بعضهم لبعض بأن يجعلوا العبودية لله وحده، وهذا هو طريق الإسلام الذي جاء ليخرج الناس من عبادة بعضهم لبعض لعبادة الله الذي له الخلق والأمر، ولن ينعم الناس بالحرية إلا في ظل الإسلام الذي لا يُعبد فيه إلا الله، ولا يُتبع إلا شرعه، ولا يُحكم إلا بحكمه، أما في ظل الأنظمة الأخرى كلها فبعض الناس أرباب وسادة مشرعون وبعضهم عبيد يطيعون.

هذه هي الحرية، وهذا هو الطريق إليها، أما الحرية التي ينادي بها الكفار فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة، فالمسلم الذي يرفض أن يستسلم لغير خالقه هو وحده الذي يحق له أن يقول بملء فيه أنا حر.

مكتبة أنوار التوحيد